

ولا أعالي إذا قلت أن عمال الأمانة الآن صورة من صور العهد الحديدي إلا أنهم يدعون الحرية وهم مضطرون إلى الإسراع بمصالح العباد بأقل مراوغة ومطاولنة مما كانوا عليه في العهد الماضي أما الإصلاح الحقيقي فأظن من سيقومون به هذه البلاد العزيزة لم يخلقوا بعد ونحن نكتفي من الحاليين أن يحفظوا فقط بالحالة الحاضرة ريثما يتخرج جيل جديد يربي على أدب النفس وأدب الدرس ويتشأ بعيداً عن أخلاق الحكومة الاستبدادية المطلقة التي غرست مبادئها الساقطة في القنب والنجم والدم والعظم.

### المتحف السلطاني

دخلنا هذه الدائرة الفخمة من بابها الغربي الكائن بجوار نظارة العدلية ومررنا أمام دار الضرب العامرة وبعدما دخلنا من باب آخر ينتهي إلى ساحة كبيرة بني على أطرافها رواق كبير يسونه غرفة العرض كان يجلس فيه الوزراء والأمراء للمذاكرة والمشاورة وفي صدره مصطبة كبيرة يصعد إليها من درجة واحدة كان يجلس فيها السلطان متوارياً عن الأعين.

ثم خرجنا من هذه الغرفة وصعدنا إلى قصر شامخ يصعد إليه بسنم من رخام جدرانها مزينة بالقيشاني بنه السلطان مراد الرابع بعد رجوعه من بغداد على طرز قصر هارون الرشيد وسماه (قصر بغداد) وهو قصر مبني على الطرز الشرقي بشكل مشين منتظم تحيط به من الخارج ردهة ذات منافذ تطل على الخنائل والبحيرات وتشرف على بحر مرمرية وقسم من

البوسفور وأحياء القسطنطينية وضواحيها وبجانب هذا القصر دائرة (الخزقة الشريفة) وفيها الرداء النبوي وبقية المخنقات والآثار النبوية.

وخرجنا بعدئذ من هذا القصر ودخنا قصرأ آخر فيه غرفة كبيرة طولها نحو عشرين ذراعاً وعرضها نحو ثلاثة عشر ذراعاً يقال أنها من بناء السلطان مصطفى الرابع وفي الجهة القببية من هذا القصر قصر آخر بناه السلطان عبد الحميد ائيد ويسمونه (سلطان حميد كوشكي) مبني على الطرز الإيطالي وهذا القصر أجمل قصر رأيناه هناك ومما يجدر بالذكر في هذا القصر صفاء بنور النوافذ حتى أنك تظن النافذة مفتوحة لا بنور فيها لشدة صفائه وعلى جانب هذا القصر حجرة صغيرة بناها السلطان عبد الحميد لتبديل لباسه قبل دخوله دائرة الحرقاة الشريفة.

ثم انتهينا إلى دائرة المتحف السلطاني وهي بيت القصيد في هذه الزيارة وهنا لا يتنالك الإنسان من الدهشة عند ما يشاهد تلك الآثار النفيسة والمصوغات الثمينة النادرة التي لا تقدر لها قيمة لنفاستها التاريخية. دخلنا هذه الدائرة وهي مؤلفة من ثلاث غرف تحتانية وثلاث غرف أخرى فوقانية وأول شيء وقع نظرنا عليه نحت كسرى الذي غنمه السلطان سليم الأول من الشاه إسماعيل الصفوي في حرب (جالديران) الشهيرة وقد نصب في وسط المتحف يوحى إلى الرائي بعظمة الدولة العثمانية ومجدها السالف ويصور لناظر السلطان سليم الأول ممتطياً جواده سائلاً سيفه يقود جيشه الباسل إلى بلاد الأكاسرة ويشتيك مع صاحب العجم في حرب عوان فيهزم جيشه ويسعولي على عرشه وخرانده.

هذا النحت على هيئة مستديرة قائم على أربعة أعمدة يصعد إليه بدرجة واحدة وكنه مرصع بالياقوت والزمرد مما يبهر الناظر. شاهدنا في هذا المتحف سيف قسطنطين بالنوغوس آخر قياصرة الروم وهو سيف مرصع بالماس أخذ من جنة غنائم يوم فتح

القسطنطينية. شاهدنا مهد السلطان محمود الثاني وهو على شكل السرر التي تصنع في دمشق من الخشب مرصعة بالصدف وهذا مرصع بالأحجار الكريمة. وفي المتحف ثلاث قطع من الزمرد الأولى بقدر جوزة الهند ووزنها ثمانمائة درهم والثانية على شكل مستطيل ووزنها مئتا درهم والثالثة بينهما في القطع والوزن وهناك أوانٍ من النحف بعضها مرصع وبعضها بدون ترصيع وساعات وأوان من العاج وبواطي من الصيني ودروع وطبرات

ومغافر وبنادق قديمة مرصعة مما لا يكاد يحصى وخواتم من الماس بعضها فضة بقدر الجوزة. وإلى جانبها دوي قديمة ذهبية وقناقم ومحاريب وسبحات ومراوح مرصعة وفي جنة هذه المراوح ثلاث تعد من نوادر المصوغات الواحدة قبضتها مرصعة بالماس والأخرى مرصعة بالياقوت والماس في وسطها ياقوتة بقدر الجوزة والثالثة مرصعة بالأحجار الكريمة وعليها رسم الكرة الأرضية.

ومما أمتنا به النظر صورة شخص طول. عشرة سانتيمترات صدره وبطنه لؤلؤة واحدة ورجلاه فيروزتان وبالقرب منه صندوق وعليه فيل من الذهب مرصع بالأحجار الشبينة. رأينا أعطية مناخذ من الأطنس والديباج بعضها مرصع باللؤلؤ فقط والبعض الآخر مرصع باللؤلؤ والزمرد والياقوت بنقش بديع يأخذ بالعقول وهناك قنب من الماس حجرتة الوسطى بقدر البيضة ويقال أن هذه الحجرة هي رابع حجرة في الدنيا من حيث الحجم والوزن وقد أمتنا الطرف برسم السلطان عبد العزيز مجسماً معبولاً من النحاس الأصفر منطياً جواده بقطعة كبيرة طبيعية وآخرين صغيرين ورأينا رسم اسكندر الثاني قيصر الروس ورسم غنيوم الأول عاهل الألمان.

وما رأيناه ثلاث آلات للمنظومة الشمسية مصنوعة من النحاس الأصفر تدور فيها الأرض والسيارات حول الشمس بحركة دولا ب يدار باليد كل ذلك بل أكثره موضوع في خزائن من البلور لا تمسه الأيدي رأينا مسيات لا نعرف أسماءها مما يحار لها العقل ويدهش لها الفكر وأنى لنا باين المعتر يقف في هذه الخزينة ويصف ما فيها من الحلي والخلل والجواهر الثمينة والمصنوعات الفاخرة النادرة بمنظومات تحكي ترصيع الجواهر المكوزة في هذا الكثر الكبير.

ليس شيء أصعب على الكاتب من أن يرى أشياء لم يألّف مشاهدتها ولا يعرف لها اسماً فهو إذا أراد وصفها عصته الألفاظ وضاعت به التعابير رأينا في هذا المتحف شيئاً كثيراً كنه من النادر الغريب الذي لا يوجد إلا في خزائن الملوك ولو أردنا أن نصف كل ما رأيناه لطل بنا البحث واحتجنا إلى سفر كبير ولكن نكفي بذكر الآثار التاريخية الثمينة بالنظر لما لها من المكانة العلية والقيمة الأدبية.

فن ذلك درع مرصعة بالماس والياقوت مع سيف مرصع أيضاً مكتوب عليهما هذه العبارة

هذه الدرع غنمها السلطان مراد الرابع لما فتح <sup>بعد</sup> اد في اليوم الثامن عشر لسنة ألف وثمانين وأربعين هجرية وتحت معبول من الباغام مرصع بالفيرز والزمرد وهو تحت السلطان أحمد الثالث كان يجلس عليه يوم عرفة وفي وسطه فراش من الأطنس مرصع باللاتي ينقوش لطيفة يصعد إليه بثلاث درجات صغيرة وخزانة من الكهرواء المنون المعرق أهدتها فيكتوريا ملكة الإنكليز للسلطان عبد العزيز ومكتب (قنصل) كبير مرصع بالماس والياقوت وسائر الأحجار الكريمة أهدتها كاترينة قيصره الروس لنوزير الأعظم

محمد باشا البلطه جي يوم وقعة (بيروت) الشهيرة وهذا المكتب من أتمن ما شاهدناه في هذه الخزينة لما فيه من الأحجار الكريمة وحل ملوك بني عثمان وعنائهم موضوعة كلها على قوالب مخصوصة على شكل إنسان بالهيئة التي كانت عليها ومكتوب على كل اسم منها اسم صاحبها وسيف السلطان الغوري عزيز مصر وخاتم السلطان عبد العزيز الذي نزع من إصبعه يوم استشهاده ووسامات مختلفة أهدها ملوك أوروبا للسلطين العثمانين وغير ذلك من الآثار البديعة التاريخية.

وفي الجملة أن هذه الخزينة هي أعظم خزينة على وجه الأرض لأنها جمعت بين خزائن الأكاسرة وخزائن القياصرة وملوك الإسلام وكانت في الدور القديم تجمع فيها الأموال على نفقة الدولة وتدخر لأوقات الحروب وتسمى (ايح خزينة) أي الخزينة الداخلية. يروى أن السلطان مصطفى الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ما صرفه في ذلك الوقت بأثني عشر مليون ليرة على حساب هذا الزمان. أما بناء الدائرة فليس من الأبنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التكايا وليس فيه ما يستحق الذكر سوى ما ذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وإنما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها أو في أحد قصورها يتمتع طرفه بتلك المناظر البهيجة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتتجنى له عظمة آل عثمان وسنطاهم ويرى الفاتح يسوق أسطوله على اليابسة بأعجوبة لم يسبق لها نظير ويفتح القسطنطينية وعندك قصر القياصرة وخزائهم كما افتتح أجداده بلاد الأكاسرة وقوضوا عروشهم ويكون نعم الأمير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش.

وفي الحقيقة إن هذا البناء النظيف من أجل ما يتصوره الفكر وألطف ما تشعر به النفوس فهو يحتاج إلى قريحة شاعر مطبوع أو قلم كاتب مجيد يصف ما تشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهجة والآثار التاريخية. هذا ولا يسعني هنا إلا أن أثني الثناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفیق بك لما أبداه من اجتهاد والملاطفة في زيارتنا هذه كما أني أشكر للأستاذ الزهراوي وعبد العزيز أفندي قولهم لي عنايتهم في هذه الزيارة التي هي من أتمن الزيارات التاريخية.

#### المتحف العثماني

ليس بين معاهد الأستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد ودخنته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الأوروبيين وأحسننا التقيد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديات الأمم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والآشوريين والبابليين والمصريين والهيبيين والبيزنطيين المتأخرين من نواويس وثمانيل وأواي وآثار حجرية وخزفية وبنورية وكلها شهادة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فأصبحت بلادها من جهة ولايات هذه السلطنة العثمانية أيد الله أركانها.

ومن أجل ما يشاهد فيه مسنجان عشروا على الأولى في صامسون والأخرى في ازنيق وأسد وجد في هاليكارناس (قصة بودروم) ويرد تاريخه إلى أربعة قرون ق. م وبجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية أشقودرة ومن ألطف عاديات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في عيذاء وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعى بعضهم أن أحدها هو ناووس امكندر المقدروني لأن الإسكندر توفي في العراق وجيء به إلى سورية على أن